الماركسيّة المُحدَثة

يُطلَق مصطلح الماركسيّة المُحدَثة على أولئك المفكّرين المتمسّكين بالماركسيّة التقليديّة (كما جاءت عند ماركس) كإطار نظري ومنهجي. ولقد لخّص **عبد الباسط عبد المعطي** في كتابه "اتّجاهات نظريّة في علم الاجتماع" تعريفًا إجرائيًّا للماركسيّة المُحدَثة في أنّ الماركسيّة الجديدة تستند إلى المفاهيم الماركسيّة ومنطقها المنهجي والقوانين العامّة التي توصّلت إليها، وأنّها تتعامل مع القوانين النوعيّة للتطوّر الاجتماعي [1]. فالنظريّة المُحدَثة هي تلك الآراء التي ظهرت بعد النظريّة الماركسيّة الكلاسيكيّة للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتّحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقّق تنبّؤ **كارل ماركس** بسقوط الرأسماليّة التي ستحلّ محلّها الاشتراكيّة ثمّ الشيوعيّة.

وعمومًا فقد حافظت الماركسيّة المُحدَثة على مضمون الماركسيّة التقليديّة مع تعديل جزئي في معنى الصراع حسب المفهوم الماركسي. لذلك يرى الماركسيّون المُحدَثون أنّ الصراع يحمل مضمون الاحترام للنظام والسلطة، واعتباره أداة للتغيّر والتحديث. وعليه يمكن التمييز بينهما من خلال:

- **الرأسماليّة والامبرياليّة:** حيث اقترح **لوسيان جولدمان** استبدال مصطلح الرأسماليّة عند **ماركس** بمصطلح الامبرياليّة عند **لينين** وروزا **لكسمبورغ**. وامتدادًا لهذا الطرح فقد أوضحوا حقيقة الأساليب التي يتّبعها الاستعمار الجديد في التعامل مع دول العالم الثالث من أجل الحفاظ على كبار الموظّفين ورشوة البورجوازيّات الوطنيّة والتأثير الإيديولوجي في المثقّفين، والتغلغل في المؤسّسات العلميّة والإعلاميّة والثقافيّة. [2]

1- عبد الباسط عبد المعطي: **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981م، ص142.

2- علي غربي: **علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة**، مخبر علم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة-الجزائر، 2007م، ص152.

- **المسألة الطبقيّة والثورة البروليتاريّة:** لم يضع **ماركس** نفسه تعريفًا للطبقة، فالتعريف الشائع هو الذي صاغه **لينين** في أنّ الطبقات هي جماعات من الناس تحتلّ مواقعًا متماثلة نسبيًّا في نظام الإنتاج الاجتماعي. ومن وجهة نظر **ماركس** يتمّ تحديد الطبقات من خلال موقعها من نظام الإنتاج والتنظيم الاجتماعي للعمل. فالماركسيّون الجدد يؤكّدون أنّ **ماركس** حصر الطبقات في (المستغِلّة والمستغلَّة) وأنّ الدور الثوري للبروليتاريّة في حاجة إلى إعادة النظر خاصّة بعد التطوّرات التي طرأت على الطبقة العاملة في المجتمعات المعاصرة. وفي هذا السياق نجد مثلًا أنّ **فرانز فانون** حاول إبراز الدور الثوري للفلّاحين محاكيًا في ذلك تجربة **ماوتسي تونغ** دون أن ننسى مساندته المطلقة للثورة الجزائريّة والمشاركة فيها. [3]

وعمومًا، فإنّ الماركسيّين الجدد قد أثاروا العديد من التفاصيل التي لم يركّز عليها **كارل ماركس**، خاصّة في اهتمامهم بدور الأمّة والخصوصيّات القوميّة. كما أثاروا أيضا مسألة استغلال المدن للقرى في الدول النامية. فلقد تمحورت محاولات تطوير الماركسيّة حول إعادة العلاقات الجدليّة بين المستوى التحتي والفوقي. فهذا الطرح لم يكن مستمَدًّا من عدم توافق التراث الماركسي مع الواقع الجديد فقط، بل امتدّت أسباب ظهور الماركسيّة الجديدة لتشمل انتقادات الفكر البورجوازي التي تركّزت في الاهتمام بدراسة العلاقات الطبقيّة والثورة، معارضين مفهوم التدرّج الذي يُخفي العلاقات الديناميّة المتناقضة للطبقات. فالماركسيّة الجديدة تنادي بالأخذ بالمنظور التكاملي والكلّي إلّا من أخذ بمفهوم ما بعد الحداثة. ومن بين روّاد الماركسيّة المُحدَثة نذكر:

- **جورج لوكاش** 1885-1971م، فيسلسوف وعالم اجتماع ماركسي، حاول وضع نظريّة ماركسيّة في علم الجمال، اشتهر بكتابه "التاريخ والوعي الطبقي 1923م" عالج فيه عدّة قضايا وشكّك في صحّة المادّيّة التاريخيّة كما أدرجها **ماركس** وفي الوعي المرتبط

3- عبد الباسط عبد المعطي: **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق**، ص145.

بالطبقات، وبالتالي فهو ضدّ التفسير العلمي الماركسي، لذلك قدّم آراءه في روّاد مدرسة فرانكفورت [4]. إلّا أنّه اشترك مع **ماركس** في تبنّي المنطق الجدلي لـ**هيجل**. ومن المفاهيم الأساسيّة التي تناولها **لوكاش** في تحليله للمجتمع الرأسمالي مفهوم الوعي والتشيّؤ* وعلاقة كلّ منهما بالتغيّر والثورة والعقلانيّة، حيث يتقابل مفهوم التشيّؤ عند **لوكاش** بمفهوم الاغتراب عند **ماركس**، فكلا المفهومين يُستخدمان في بحث وتحليل التناقضات في المجتمع. [5]

- **أنطونيو غرامشي** 1891-1937م، مفكّر اجتماعي إيطالي، أصبح صحفيًّا شهيرًا نشطًا في ميدان السياسة في التيار الماركسي، فهمه مغاير للماركسيّين الكلاسيكيّين حول البناء التحتي والبناء الفوقي، حيث يجب فهم مثل هذه المقولات بمعنى علاقاتها وفعاليّتها التاريخيّة لا بمعنى وجودها في الواقع [6]. والقضيّة الأساسيّة التي ناقشها **غرامشي** هي قضيّة الهيمنة والسيطرة من خلال تملّك القوّة، حيث تبدأ الهيمنة بالانهيار مع تطوّر وعي الطبقات المحرومة والمستقلّة بمصالحها وتشكيل تنظيماتها المستقلّة، وتمتدّ السيطرة على قوى الإنتاج وعلاقاته. [7]
- **آلان تورين** 1925م، أفكاره تتمحور حول السيطرة على إدارة التراكم، ملك صيغة المعرفة وفرض النموذج الثقافي. حيث تبرز طبقة تتحكّم في عمليّات الإنتاج ونتائجها،

4- عبد المجيد البصير: **موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامّة**، دار الهدى، الجزائر، 2010م، ص384.

* التَشيُؤ ترجمة للكلمة (بالإنجليزية: reification) «ريفيكيشن» (بالألمانية: Verdinglichung) ويعني تَحوُّل العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء (علاقات آلية غير شخصية) ومعاملة الناس باعتبارها موضعاً للتبادل. ويمكن القول ببساطة شديدة بأن التَشيُؤ هو أن يَتحوَّل الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء فلا يتجاوز السطح المادي وعالم الأشياء.

5- إبراهيم عيسى عثمان: **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2008م، ص154.

6- خضر زكريا: **النظريات الاجتماعية المعاصرة**، ج1، مطبوعات جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعيّة، دمشق-سوريا، 1988-1989م، ص243.

7- إبراهيم عيسى عثمان: **مرجع سابق**، ص161.

ممّا يمنحها قوّة تتحكّم من خلالها في من لا يملكون، كما توظّف الطبقة المهيمنة المعارف في وضع البرامج والإشراف على إنتاج المعرفة. كما يرى **تورين** أنّ احتكار ملكيّة الثروة لا يحتلّ مكانة الصدارة في عمليّة الصراع، وبالتالي تفرض القوّة المتحكّمة نموذجها الثقافي الذي يعزّز سيطرتها وضمان مكاسبها وأهدافها الاقتصاديّة والسياسيّة. **(8)**

- **بيار بورديو** 1930–2002م، تتلخّص أفكاره في محاولته لطرح مفاهيم ثنائيّة مثل الذاتيّة والموضوعيّة، الوضعيّة والمثاليّة، الفرد والجماعة، وقد أكّد صفة النسبيّة والتغيّر في القوانين، وينتهي إلى القول بأنّ أزمة علم الاجتماع ناتجة عن نظريّات دون ركيزة امبريقيّة أو أعمال امبريقيّة دون توجيهات. **(9)**

ممّا سبق نستنتج أنّ النظريّة الماركسيّة المُحدَثة قد تبلورت أفكارها بعد النظريّة الماركسيّة الكلاسيكيّة للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقّق تنبّؤ **كارل ماركس** بسقوط الرأسماليّة التي ستحلّ محلّها الاشتراكيّة ثمّ الشيوعيّة.

– قائمة المراجع:

– عبد الباسط عبد المعطي: **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981م.

– علي غربي: **علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية المحدثة**، مخبر علم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة–الجزائر، 2007م.

– عبد المجيد البصير: **موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامّة**، دار الهدى، الجزائر، 2010م.

– إبراهيم عيسى عثمان: **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2008م.

8– **المرجع السابق**، ص165.

9– إبراهيم عيسى عثمان: **مرجع سابق**، ص167.

- خضر زكريا: **النظريات الاجتماعية المعاصرة**، ج1، مطبوعات جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعيّة، دمشق-سوريا.